الخطاب الافتتاحي

الذي ألقاه أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام بتاريخ ٢٠٢٢/٨/٥م

بمناسبة الجلسة السنوية لجماعة بريطانيا في حديقة المهدي بريطانيا

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

لقد بين المسيح الموعود عليه السلام الهدف من عقد الجلسة السنوية وهو إنشاء العلاقة الخاصة مع الله تعالى والسماع لأقوال النبي ﷺ والعمل به لإصلاح أنفسنا. فإننا نجتمع في هذه الأيام لإطفاء عطشنا الروحاني، فعلينا أن نضع هذا الهدف أمام أعيننا دوما. فكما قلتُ في خطبة الجمعة ستكون الجلسة محدودة في هذا العام بسبب ظروف خاصة، وهي تُعقد بعد غياب عام واحد، ندعو الله تعالى أن يبعد عنا هذا الوباء عاجلا ويرحمنا وأن تعود الأمور إلى ما كانت عليها وتُعقد الجلسة بكل شؤونها. ولكن شأنها الحقيقي هو أن يحدث حضورها تغييرا طيبا في أنفسهم وأن يسلكوا دروب التقوى بشكل دائم، كما ذكرتُ أننا اجتمعنا هنا لإطفاء غليلنا الروحاني فهذا لا يعني أنه يكفي أن شربنا الماء مرة، بل الحق أنه لا يكفي أن نطفئ غليلنا بسماع ما قال الله تعالى وقال الرسول ﷺ في هذه الأيام فحسب بل علينا أن نأخذ هذا الماء الروحاني معنا ونطفئ به ظمأنا طول السنة ونهيّئ لأنفسنا أسباب الحياة حينها، وألا نرجع مثل السابق بعد أن أحدثنا تغييرا في حالتنا في هذه الأيام الثلاثة تحت تأثير جو الجلسة.

في هذه المرة دبّرت بعض فروع الجماعة وفق ظروفها سماع برامج الجلسة بشكل جماعي، ونستطيع أن نراهم على الشاشة، وهذه أيضا تجربة جديدة وعُرف جديد في الجماعة وهو عرف جيد بحيث يجتمع الناس في مختلف الدول لسماع الجلسة المنعقدة هنا ويشتركون فيها جالسين في مجالسهم في مساجدهم أو قاعاتهم ويشاهدون برامج الجلسة مباشرة ونشاهدهم. إنه أيضا فضل خاص من أفضال الله تعالى أنه بالرغم من الظروف غير المواتية يهب لنا وسائل جديدة تفيدنا على نطاق واسع من حيث الجماعة. باختصار، تستمع فروع الجماعة إلى هذه الجلسة في مناطقهم في بعض الدول، وبعض الناس

يسمعونها في بيوتهم أيضا فينبغي أن يكون تأثير هذه الجلسة على جميع المستمعين بحيث يصبح هذا التأثير جزْءًا دائما من حياتهم، حينها نستطيع أن نقول إننا قد حققنا هدف الجلسة وأدّينا حق مبايعتنا للمسيح الموعود عليه السلام وبالنتيجة سنكون ممن ينالون بركة أدعية المسيح الموعود عليه السلام وإلا سنكون محرومين من النعم التي هي منوطة بالجلسة.

إنها منة الله العظيمة علينا أنه وفقنا للإيمان بالمسيح الموعود عليه السلام الذي أرانا سبل أحكام الله والرسول ﷺ التي لو سلكناها لفُزْنا بقرْب الله تعالى، ولأصبحنا أمة الرسول ﷺ الحقيقية واستفدنا بأدعيته. لذا على كل واحد منا أن يتوجه إلى ذلك في هذه الأيام سواء أكان يسمع الجلسة هنا في حديقة المهدي أو في مكان الاجتماع في بلده تحت نظام الجماعة أو في بيته، عليهم أن يضعوا أمامهم هذه الأمور التي هي من أهداف الجلسة والتي بيَّنها المسيح الموعود عليه السلام بوضوح في مختلف المناسبات. وملخصها ولو أردنا أن نلخّصها في جملة واحدة فهي السلوك على دروب التقوى.

قال عليه السلام: تزهّدوا! كيف ينشأ الزهد؟ لا يمكن من دون التقوى. والزهد يعني أن يضحي المرء بعواطفه، ويتجنب كل سيئة، ولا يتجنبها فقط بل يردّها بشدة كارها إياها، وأن يتجنب أهواء الدنيا الخاطئة، ويتركوا أمورهم على الله ويسجدوا له وحده. ولا يمكن أن تنشأ هذه الأشياء إلا فيمن كان يتحلى بالتقوى، وبهذه الكلمة الواحدة أوصانا المسيح الموعود عليه السلام الوصية التي لو عملنا بها لأحدثنا انقلابا في حياتنا. وهذا لا يعني أن نترك الدنيا كليا فإن النبي ﷺ قال ما مفاده أنه من الخطأ أن يترك الإنسان أمور الدنيا ويعيش في البراري وأن يُضيع ماله ولا يبالي به، لقد منع الإسلام هذا أيضا، ونهى عن عدم أداء حقوق الأقارب. فالزهد يعني أن يضحي المرء بعواطفه لرضا الله تعالى وهو يقيم في الدنيا ويقوم بجميع أموره الدنيوية، ولا تحول أية أمنية دنيوية دون طريقه إلى الله، وإذا رزقه الله تعالى الجاه والمال فيُنفقه من أجل أداء حقوق الله وحقوق عباده. قال المسيح الموعود عليه السلام وهو يبين الموضوع نفسه:

من ميزة المؤمن الحقيقي أن يؤثر الدين مع انشغاله في أعمال الدنيا. فيمكن أن يعمل في تجارات الدنيا ولكن ينبغي ألا تصبح هي الهدف الأساس له. كان الصحابة أيضا ينشغلون بالتجارات التي كان قوامها مئات الآلاف، ولكنهم لم يكونوا ينسون حقوق الله وحقوق العباد للحظة واحدة.

لقد ذكر المسيح الموعود عليه السلام واقعة من كتاب "تذكرة الأولياء" فقال:

كان شخص مشغولا في تجارة قوامُها آلاف الروبيات، فرآه أحد أولياء الله بنظرة الكشف فعلم أن قلبه لم يغفل عن الله لحظة واحدة على الرغم من انشغاله بهذه التجارة الكبيرة، فعن مثل هؤلاء الناس

يقول الله تعالى: ﴿لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ﴾. ومن كمال المرء أن يشتغل في أشغال دنيوية ولا ينسى الله أيضا. قال عليه السلام: والناسك الذي يلجأ إلى زاوية الخمول متضايقا من الأشغال الدنيوية يبدي ضعفا نوعا ما. لا رهبانية في الإسلام! لا أقول قط أنِ اخذُلوا الزوجات والأولاد واتركوا الأعمال الدنيوية. كلا، بل على الموظف أن يؤدي واجباته الوظيفية جيدا وعلى التاجر أن ينجز أمور تجارته ولكن يجب أن يقدم الدين. (بدر، ١٤/ ٣/١٩٠٧، ص٦)

فهذا هو الزهد الحقيقي، وعلينا أن نستعرض أوضاعنا لنعرف هل نسعى لإحراز هذا المعيار للزهد؟ ألا إنما ستتحقق هذه الأمور عندما نتحلى بالتقوى، ونُعرض عن اللغو ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى ونسعى لاجتناب الأخلاق السيئة وليس ذلك فحسب بل نسعى لإظهار نماذج الأخلاق السامية، ونجتنب الفواحش وننشر الحسنات، بحيث لا تُبعدنا ثروتُنا عن إخوتنا بل تزيدنا تآخيا وحبا، فثمة حاجة لنفحص نفوسنا من هذا المنطلق، لكي يتولد فينا هذا الزهد ونجعل دنيانا دينا، ووسيلةً لاكتساب رضوان الله سبحانه وتعالى، وهذا لا يتحقق دون خوف الله وحبه، وهو ما يسمى التقوى.

ثم قال حضرته للقادمين لحضور الجلسة: لن ينفعكم حضورُ الجلسة ما لم تكونوا مثلا في الورع. فما هو الورع إذن؟ إنما هو خشية الله سبحانه وتعالى، ولا يستطيع المرء إحراز هذه الحالة ما لم يدرك ما هي التقوى وما لم يكنّ قلبُه التقوى، فالإنسان يعمل أعمالا كثيرة ويعامل الآخرين معاملة سيئة بحيث يهضم حقوقهم، دون أن يشعر بذلك، أو إذا كان يشعر فيخدعه الشيطان. أما إذا كان يخشى الله ويوقن بأنه سبحانه وتعالى ينظر إلى كل عمل له وهو يعاقب على الأمور الخاطئة والخطايا، فعند محاولته غصب حق أحد سيخطر بباله أن الله سيعاقبه على ذلك ومن ثم يمنعه هذا الخيالُ من هضم حقوق الآخرين. إذن ثمة حاجة لفهم موضوع خشية الله بهذا التعمق، وليكن معلوما أن المسيح الموعود عليه السلام لا يتكلم هنا عن الورع البسيط بل يقول: يجب أن تكون معايير الورع عندكم مرتفعة جدا حتى تُعتبَروا مثلا في ذلك ويقول الناس فيما بينهم: إذا كنتم تريدون النظر إلى إنسان ورع حقيقي وأردتم أن ترَوا رجلا يضع خشية الله في الحسبان في كل قول وفعل له فانظروا إلى هذا الأحمدي. إذن يجب أن نفحص أنفسنا هل نسعى لإحراز هذه المعايير؟

ثم يجب أن تتقدموا على درب التقوى أيضا، ويجب أن تكونوا مثلا في ذلك أيضا، أي يجب أن تسعوا لاجتناب كل نوع من الذنوب. إن حضرته يذكر كبرى الحسنات والذنوب الكبيرة، وإلى جانب ذلك ينصحنا باجتناب الصغائر أيضا. فقال: يجب أن تكونوا مثلا في التقوى أيضا، فكل هذه الأمور

التي ذُكرتْ هي من خصال المتقي، الذي يسير على درب التُّقَى الحقيقي، ويؤدي حق البيعة. والإنسان لا يستطيع أن يؤدي حق البيعة ما لم يصبح مثلا يحتذى في التقوى، حيث يفحص الشخص نفسه وما هي السيئات التي يرتكبها وهل يسعى للتخلص منها، ثم يجب أن يستعرض ما هي الحسنات التي يقصر في إحرازها وهل يسعى لتدارك ذلك القصور، عندها سيصبح مثالا.

حين أتيتم لحضور الجلسة فعليكم أن تستعرضوا هذه الأمور. وعندئذ ستستفيدون من الجلسة في الحقيقة. وبعد لفْت الانتباه إلى فحص نفوسنا بهذه الدقة، وجَّهَنا عليه السلام إلى خُلق آخر فقال تحلَّوا بلين القلب، فمن درجات الورع والأشواط على درب التقوى، والوسائل لنيل قرب الله، والسبل لدخول جنات رضوان الله سبحانه وتعالى والذرائع للفوز بحب الله، لينُ القلب وكظمُ الغيظ بدلا من إظهاره على أحد أيضا. والرفقُ والعفو رغم صدور القصور من الآخرين، لمن أروع الخصال التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم فقال ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٤)

فهذه هي العلامة التي بيَّنها للمؤمن الحقيقي الذي يُحْدث التغيير في نفسه، وغير المؤمن لا يقدر على إحراز هذا المعيار. وإنما يكظم الغيظَ لله سبحانه وتعالى ويعفو عن أخيه مَن يخاف الله ولِّين القلب فقط. ولا نجد المتصف بهذه الصفة في أهل الدنيا إلا نادرا، ويجب أن يُظهر كل واحد منا هذه المعايير، فنحن نتخاصم على أبسط الأمور ونسعى للانتقام، لكن الله سبحانه وتعالى يقول إن ذلك لا يليق بالمؤمن، وإنما يليق به أن يعفو ويكظم غيظه. ثم انظروا ما أعظم منة الله سبحانه وتعالى على ذلك فهو يقول إنكم أحسنتم إلى أخيكم بالعفو عنه وأنا أجزيكم على ذلك بحبي. فكظْم الغيظ الجائز في سبيل الله والإحسان إلى الآخرين محبب إلى الله سبحانه وتعالى حيث يقول إنه يحب المحسنين. إذا كان المحل يقتضي إظهار الغيرة والجلال من أجل الله فيجب إظهارها، أما الغضب على أبسط الأمور والخصومات والانتقام فباطل تماما. فمن فاز بحب الله ماذا يريد أكثر من ذلك؟ إذ حبُّ الله يُدخل الإنسان في الجنة، ويملأ حياته بالحسنات. فعدم العفو عن الإخوة وإطالة القضايا بلا مبرر واللجوء إلى المحاكم ودُور القضاء لا يؤدي إلى غير الفساد في المجتمع والخصومات، وينبغي أن يجتنبها المؤمن الحقيقي. فلم يقل الله سبحانه وتعالى أن اكظموا الغيظ فقط وإن كانت هذه بحد ذاتها حسنة كبيرة، إذ إن كظم الغيظ صعب جدا، ويُعدُّ حسنة كبيرة، لكن الله سبحانه وتعالى ينصحنا بالارتقاء إلى مقام أرفع بكثير، ويريد المسيح الموعود عليه السلام ألا نكظم الغيظ فحسب بل أكثر من ذلك

نعفو بصدق القلب، حيث لا يبقى في القلوب أدنى كدورة، وهذا هو العفو الحقيقي وليْن القلب وهذا هو المقام الذي يُكسبنا حبَّ الله ﷻ.

فعندما نصل بحياتنا إلى هذا المستوى سنصبح من الذين يحققون الهدف من هذه الجلسة وفق رغبة المسيح الموعود عليه السلام. فعلى كل واحد الآن أن يحاسب نفسه ما إذا كان يسعى إلى بلوغ هذه الدرجة أم لا. لا شك أن الأغيار يجدون مثل هذه العلاقة والمحبة بين أفراد الجماعة ولكن ينبغي ألا نرضى بمستواها حتى يبلغ كل واحد منا في التعامل مع غيره مستوى عاليا من الرفق والعفو بحيث تتولد منه نماذج الإحسان عند كل خطوة.

كيف أفهمنا النبي ﷺ هذا الأمر؟ يقول ﷺ: ما من جُرعَةٍ أعظم أجرًا عند الله من جرعةِ غيظ كظمها عبدٌ ابتغاء وجه الله. فينبغي أن يراعي المرء رِضَى الله تعالى دائمًا. فكم هم أولئك السعداء الذين يبلغون رقة قلوبهم ورفقها المستوى المذكور. هذا هو التعليم الحقيقي الذي تنتشر بواسطته المحبةُ والوداد وتنهدم به جدران النفور والكراهية.

فتحقيقا لرغبة المسيح الموعود عليه السلام وعملا بهذا التعليم ينبغي أن نسعى جاهدين لنشر المحبة وهدم جدران الكراهية. الأمر الذي نحن بأمس الحاجة إليه. يقول المسيح الموعود عليه السلام وهو يوجه لنا النصح بقوله:

اعلموا يقينا أن هناك عداوة شديدة بين العقل والحماس، عندما يغضب الإنسان ويتحمس لا يستقيم العقل. ولكن الذي يصبر ويتجلّد يُعطى نورا ينشأ به نور جديد في قواه العقلية والفكرية. ثم يتولّد نورٌ من نور. ولأن القلب والدماغ يكونا مظلمَين في حالة الغضب والحماس لذا فلا يتولد من الظلام إلا الظلام.

ثم قال حضرته عليه السلام في آونة أخرى:

"تَذكّروا أن الذي هو قاسٍ وسريع الغضب لا يمكن أن تخرج المعارف والحِكم من لسانه. إن الذي لا يتمالك نفسه من الغضب أمام خصمه يُحرَم قلبُه من كلام الحكمة. إن شفاه الشخص البذيء الذي لا يكبح جماح لسانه تُجعل محرومة من ينبوع اللطائف. (أي لا يمكن أن تخرج من فمه أحاديث البر والمعرفة، بل إنه يحرم منها) الغضب والحكمة لا يجتمعان. إن الذي يستشيط غضبًا يكون ضعيف العقل بليد الفهم، ولا يُكتب له الغلبة والنصر في أي ميدان. إن الغضب نصف الجنون، وإذا التهب الغضب يتحول إلى جنون كامل."

فلا يسبب الغضب مضرة مؤقتة فحسب بحيث إذا غضبت مجموعة فأدى ذلك إلى إثارة غضب مجموعة أخرى ثم تبدأ المشاجرة ويلحق بعضهم الخسائر بالبعض وينتهي الأمر، كلا بل إن الذي يكنّ غضبًا وغيظًا يُحرم من أحاديث الحكمة والعقل، ولا تخرج من فم الذي يستخدم لسانًا بذيئًا أقوالُ البر والمعرفة، فإذا لم تخرج أقوال الحكمة والمعرفة فلا بد أنه أصبح خاليًا من التقوى، ولا يمكن لمثله أن يجد حظًّا من الجو الروحاني الموجود في هذه الجلسة. لذلك لم يحب عليه السلام أن يكون فرد من أفراد الجماعة على هذه السيرة، لأنه سيشترك في الجلسة ويفسد أجواءها في هذه الأيام خصوصًا ويفسد أجواءه اليومية عمومًا. فعلى الجميع أن يحاسبوا أنفسهم في هذه الأيام مراعين الأمور المذكورة.

ثم يقول المسيح الموعود عليه السلام: ينبغي أن يكون الأحمديون نموذجًا للمحبة والمؤاخاة فيما بينهم. فإن خلق مثل هذا النموذج للحب والأخوة في قلوب أفراد الجماعة لهو أيضا هدف من أهداف الجلسة. وإن المستوى الرفيع والمثل العالي الذي ينبغي أن يحتذى به في هذا الخصوص هو ما قدّمه لنا القرآن الكريم وهو نموذج مؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، الذي ذكره الله تعالى في القرآن الكريم كالتالي:

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: ١٠)

أي أن هذه الأموال المذكورة هي أيضا لأولئك الذين كانوا يسكنون في المدينة سابقًا وآمنوا قبل وصول المهاجرين إليهم، وكانوا يحبون من يهاجر إليهم، وما كانوا يجدون في قلوبهم رغبة مما أوتوا ورغم فقرهم كانوا يؤثرون المهاجرين على أنفسهم، ومن عُصمت نفسه من البخل فأولئك هم المفلحون.

فهؤلاء هم الذين أوصانا الرسول ﷺ باقتداء أسوتهم إذ إنهم كانوا قد ارتبطوا فيما بينهم بأواصر المحبة والأخوة ارتباطًا وثيقا بحيث كانوا مستعدين للتضحية لإخوانهم ولو كان ذلك بالتضييق على أنفسهم. بل كان منهم من قدّم لأخيه المهاجر جزءًا من عقاراته، وبعضهم بلغ في عرضه لأخيه مبلغًا حيث استعدّ لتطليق إحدى زوجاته وتزويجها من أخيه المهاجر. ومن ناحية ثانية قد أرى المهاجرون أيضا نموذجًا عاليا من المحبة والمؤاخاة فقالوا للأنصار أنْ يحتفظوا بعقاراتهم والأشياء التي عرضوها لهم، لأنهم لا يريدون إلا مساعدة مؤقتة. وإن مثل هذه التصرفات تزيد المحبة والتآلف والأخوة والتآخي إذ لم

يطمع في الثروات أي من الفريقين، و لم يُبد أي منهم أي نوع من الضيق. أما في هذه الأيام فنجد أن الأشقاء أيضا يحاولون غصب عقارات إخوتهم ثم تُرفع القضايا في المحاكم.

فها هو المجتمع الإسلامي الجميل الذي جاء المسيح الموعود عليه السلام لإقامته والذي نرى نموذجه في حياة الصحابة.

وقال عليه السلام: فقدِّموا أنتم أيضا تلك الأسوة. وقد بدأ عليه السلام عقد هذه الجلسة من أجل التدريب على إراءة ذلك المجتمع الجميل. لقد قال عليه السلام: تدربوا في هذه الأيام على نشر المحبة وتقديم التضحية من أجل الآخرين.

وقال سيدنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام ذات مرة: عليكم أن تكونوا كأخوينِ من بطن أم واحدة –ومع أن هناك من الأشقاء أيضا الذين لا يؤدون حق الأُخوّة، إلا أن الأشقاء عادة يسعون بكل طريقة لأداء حق الأخوة– وأن تراعوا حق الأخوة ومحبة القرابة هذه ابتغاء مرضاة الله. يجب أن يكون كل فعل للمؤمن لوجه الله تعالى، وعندها يُعَدّ عمله من التقوى. قال الله تعالى: قد أفلح الذين قدموا هذه الأسوة من التضحية والمحبة والمودة والتآخي فيما بينهم، وصار عملهم مقبولا عند الله تعالى، ففازوا برضا الله في الدنيا كما ورثوا جنات رضوانه في الآخرة. ومن ذا الذي يكون مؤمنا وموقنا بالله تعالى ثم لا يريد أن يدخل جنات رضوانه؟ كلا، لن يريد المؤمن الحقيقي أن يظل محروما من رضوان الله تعالى.

فمن أجل الفوز برضوانه تعالى هناك حاجة لتقديم هذه النماذج. قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي وعظمتي، اَلْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي. هذا ما يقول الله تعالى. فيا له من مقام رفيع يريد الله تعالى أن يوصل إليه المؤمنين، وما أعظمَه من منة يمن بها الله تعالى على الذين يحافظون على أواصر المحبة والأخوة هذه.

وكم هو عظيم إحسان الله إليهم إذ يريد أن يرفعهم إلى هذه المكانة العالية. ولو لم يدرك الناس أهمية هذه الأواصر بعد ذلك، فلا شك في شقاوة مثل هؤلاء العقلاء. لقد ذكر سيدنا المسيح الموعود عليه السلام أن من أهداف بعثته الحفاظ على أواصر المحبة والأخوة هذه، وبالنظر إلى أهميتها قد جعلها من أهداف جلسته السنوية هذه. فمن واجبنا القضاء على أي أضغان وشكوى بيننا، وأن نقيم جوا من المحبة والوداد فيما بيننا، وأن نصبح مؤمنين صادقين، ونقدم أسوة حسنة كما قدمها الصحابة لنا. يجب علينا دفن أنانيتنا وحميتنا الزائفة.

ثم قال عليه السلام: يجب على الذين يحضرون هذه الجلسة أن يتحلوا بالتواضع والانكسار، لأن الله تعالى يحب التواضع جدا.

وقد قال الله تعالى مرة للمسيح الموعود عليه السلام في وحيه: لقد أعجبتْه تعالى طرق تواضعك.

فإن كنتم تبحثون عن سبل رضوان الله تعالى فلا بد لكم من البحث عن سبل التواضع. وقد نبهنا الله تعالى إلى ذلك في القرآن الكريم أيضا فقال: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾. فإن كنتم تريدون الفوز برضوان الله وحبِّه فعليكم التواضع. لقد قال سيدنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام في بيت شعر له:

اعتبروا أنفسكم أسوأ من الجميعَ، عسى أن تدخلوا بذلك دار الوصال.

فلا ينال المرء المقام المنشود بالتكبر، أو برفع عنقه تفاخرا، أو بالتأكيد على فضله على الآخرين، إنما ينال مقام قرب الله تعالى بالتواضع. لقد قال سيدنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام ذات مرة: إن التكبر أنواع كثيرة، فأحيانا يصدر التكبر بالعين، فعندما ينظر أحد إلى غيره شزرا، فيعني ذلك أنه يحتقره ويرى نفسه خيرا منه. وأحيانا يصدر الكِبْر من اللسان، وأحيانا يكون مصدره الرأس، وأحيانا يظهر الكبر من الأيدي والأقدام. باختصار هناك مظاهر عديدة للتكبر، وعلى المؤمن أن يسعى لاجتنابها كلها دوما، حتى لا تنبعث رائحة الكبر من أي عضو من أعضائه ويظهر منه الكِبر.

وقال عليه السلام: كثيرون هم الذين يظنّون أنهم متواضعون جدا، ويقولون أيضا إننا متواضعون جدا، ولكن يوجد فيهم أيضا نوع من أنواع التكبر، لذا يجب اجتناب أدقِّ أنواع التكبر. أحيانا ينشأ هذا التكبر من الثروة، حيث يعدّ المتكبر الثريُّ غيرَه فقيرا معدما ويقول: أنى لهذا أن ينافسني؟ وأحيانا يصدر التكبر بسبب العائلة والنسب، حيث يزعم المتكبر أنه من عائلة شريفة وغيره من عائلة حقيرة. وأحيانا يتولد الكبر بسبب العلم أيضا، حيث لا ينطق غيرُه بكلمة خاطئة إلا ويهبّ هذا المتكبر بعلمه ويخطِّئه ويصرخ بين القوم أن هذا لا يقدر على نطق كلمة صحيحة واحدة.

باختصار إن للتكبر أنواعا كثيرة، وكلها تحرم الإنسان من الحسنات، وتمنعه من نفع الناس، (أي لا يستطيع المرء بسبب كبره نفْع الآخرين أصلا، ويظل محروما من هذه الحسنة. ثم قال عليه السلام): يجب اجتناب كافة صنوف الكبر هذه. ولكن اجتنابها كلِّها يتطلب موتا (أي أن اجتناب الكبر بكل أنواعه يتطلب من المرء جهادا وكفاحا، وأن النجاة من الكبر تقتضي موتا وجهادا، أي يتطلب منه إصلاحَ

النفس وقتْلَ أنانيته وكبْح جماحها)، وما لم يرض الإنسان بهذا الموت لن تنزل عليه البركة من الله تعالى.

فإذا كنا نريد الفوز ببركات الله تعالى فلا بد لنا من أن نطرد من أنفسنا أنانيتنا الزائفة ونقضي عليها وإلا فإن الله تعالى يقول إنكم لن تفوزوا بمحبتي.

ثم نصح سيدنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام جماعته بمنتهى الألم وقال: إن أهم هدف من أهداف عقد هذه الجلسة التحلي بالصدق والسداد.

إن هذا الجو الروحاني يخلق أعلى مستويات الصدق. وقد قال النبي ﷺ: إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ دائما حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا عند الله تعالى، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ.

يقول المسيح الموعود عليه السلام: لقد أكد القرآن الكريم على الالتزام بالصدق كثيرا ولا يوجد في الإنجيل عشر معشاره. يقول عليه السلام: "لقد عَدّ القرآنُ الكريم قولَ الزور نجاسةً ورجسًا فقال: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾

ويقول سبحانه وتعالى في آية أخرى: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾

فلو تحققت هذه المعايير للصدق عندنا لحُلّت كثير من المشاكل العائلية تلقائيا. تحدث المشاكل بين الزوجين وبين الأقارب كما تطل المشاكل برأسها في المجتمعات بوجه عام وتحلُّ كلها نتيجة قول الصدق. فعلينا أن نفكر في كل هذه الأمور. فلو تحلّينا بالأخلاق الفاضلة واجتنبنا السيئات كما تمنّى لنا المسيح الموعود عليه السلام لأمكن لنا أن نؤسس مجتمعا طاهرا وجميلا. وليكن معلوما أيضا أن العمل بالحسنات المذكورة كلها واجتناب السيئات لا يمكن إلا إذا سلكنا مسلك التقوى كما قلتُ في البداية. وقد وجّه سيدنا المسيح الموعود عليه السلام أنظارنا إلى التقوى نفسها فقال:

اتقوا، فإن التقوى أساس كل شيء. إن المراد من التقوى هو اجتناب أدق سبل الذنب. (أي التقوى هي أن يجتنب المرء عملا فيه أدنى شائبة من السيئات) إن مثل القلب كمثل قناة كبيرة تتفرع منها قنوات صغيرة أخرى. (أي تخرج من القلب قنوات صغيرة مثل اللسان وغيره) فإذا كان ماء قناة صغيرة آسنا ونجسا وكدرا فقياسا على ذلك فإن ماء القناة الكبيرة أيضا سيكون كذلك. فلو رأيتم عضوا من أعضاء أحد مثل لسانه أو يده أو قدمه غير طاهر فاعلموا أن قلبه أيضا كذلك. (أي يُعلم من عمل أحد عن لسانه، وإذا كان يتحلى بالتقوى أم لا)

ويتابع عليه السلام قائلا: إن للتقوى أجزاء عديدة، فالكفّ عن العُجب والزهو وأكل المال الحرام وسوء الخلق أيضا يدخل في التقوى. إن الذي يتحلى بحسن الخلق يصبح أعداؤه أصدقاءه. قال الله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ فكروا الآن، ماذا يعلّمنا هذا الحكم؟ إنما يريد الله تعالى من هذا الحكم أنه إذا شتمكم بعض المعارضين فلا تردوا عليه بالشتيمة بل اصبروا عليه، لأن هذا يجعل المعارض يقتنع بفضلكم فيندم ويخجل، وهذه العقوبة أشد بكثير من العقوبة التي قد تصبُّونها عليه انتقاما. قد يدفع هذا الموقف بشخص عادي لسفك دم الخصم أيضا، ولكن هذا ليس من مقتضى الإنسانية والتقوى. إن حسن الخلق ميزة تؤثر حتى على أشد الناس إيذاء. ونِعْم ما قال الشاعر:

"لطف كن لطف كه بيكانه شود حلقه بكوش"

أي: أَحسِنْ، فإن الإحسان يحوّل الغريب صديقا حميما.

ثم يقول عليه السلام: يجب على الإنسان التوجه إلى السعادة والتقوى واختيار سبل السعادة، عندها فقط يمكن أن يتم شيء. ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ إن ظن السوء وثرثرة اللسان دون مبرر تصرف سخيف تماما. والمهم أن يرجع المرء إلى الحق ويصلي ويؤدي الزكاة ويجتنب إتلاف الحقوق ويمتنع عن السيئات. من الثابت المتحقق جيدا أنه إذا ارتكب أحد سيئة أدت إلى هلاك أهل البيت وأهل المدينة كلهم، فاجتنبوا السيئات لأنها تؤدي إلى الهلاك.

ندعو الله تعالى أن يوفقنا لإنشاء التغيُّر في أنفسنا وأن نخلق فينا بحسب رغبة المسيح الموعود عليه السلام تقوى تُخلصنا من جميع المساوئ وتعيننا على كسب الحسنات كلها، وأن تكون هذه الأجواء الروحانية مدعاة لخلق الزهد وخشية الله والرفق والحب المتبادل والأخوة والتواضع وأعلى مستوى الصدق فينا. وأن تخلق أجواء الجلسة هذه، في الذين يصلهم صوتي وكذلك في الذين يسمعونه جالسين في بيوتهم أو تحت نظام الجماعة، انقلابا، وليرى الناس هذا الانقلاب حقيقة عندما نخرج من هذه الأجواء، وعندها فقط يمكننا أن ندعوهم إلى دعوة إمام العصر الراهن التي هي دعوة الإسلام الحقيقي، وإلا فليس ذلك إلا كلام فارغ فحسب. وفقنا لفهم رسالة المسيح الموعود عليه السلام.

والآن سندعو معا، فادعوا للخلاص من الظروف الراهنة، وأن ينـــزل الله تعالى فضله على البشرية ويُخرجها منها. ويزيل أخطار الحروب إذا كانت محدقة في منطقة ما وأن يعيد الأوضاع إلى طبيعتها سريعا، ولنتمكن من عقد جلساتنا بشوكتها وعظمتها السابقة وتترك أثارها الإيجابية على العالم كله،

وأن تُعقد الجلسات في كل بلد كما كانت. وادعوا للأحمديين في باكستان أن يخلّصهم الله من الكروب، وادعوا للمظلومين في العالم كله أن ينقذهم من المظالم.

في هذه الأيام عليكم الالتزام بصلاة التهجد وذكر الله والدعاء بوجه خاص وإن كنتم في بيوتكم، فبالدعاء فقط نستطيع أن نجلب فضل الله تعالى، وفقنا الله تعالى لذلك. أُدعوا للأسرى في سبيل الله أن يفك ﷻ أسرهم سريعا، تعالوا ندعُ معا.